السنة الأولى جذع مشترك (علوم انسانية) .

المقياس : تاريخ الجزائر المعاصر.

الأستاذ : عبد العزيز وابل .

المحاضرة رقم (01) : الحركة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى .

مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية :

هي شكل من أشكال مقاومة الاستعمار، و هي عبارة عن تنظيمات و تيارات مختلفة قادها شخصيات و نخب التي ترفض الوجود الاستعماري و تناضل من أجل القضية الوطنية، بنشر الوعي بين أوساط الشّعب الجزائري، و الدّفاع عن حقوقه و مصالحه، من أجل تخليص الشّعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، و تطورت بعد الحرب العالمية الأولى، وتجسدت في شكل جمعيات و أحزاب سياسية .

عوامل ظهورها : هناك عوامل أدّت إلى ظهور الحركة الوطنية الجزائرية ومنها :

– عوامل داخلية:

* حركة التعليم بشقيها : العربي الإسلامي و الأوربي الغربي، وساهمت في تكوين جيل مثقف وواع، يشعر بمعاناة الشعب الجزائري و بالأسلوب الذي يمارسه الاستعماري الفرنسي بكل أشكاله .

* ظهور صحافة وطنية : وكانت من أهم وسائل و أدوات التأثير في الرأي العام و في توجيهه، وتوعية قرائها بالقضايا الوطنية وأوضاع العالم الإسلامي ،ومنها : جريدة المنتخب التي صدرت بقسنطينة في 28 افريل 1882م، وانتهت في عددها الـ 40 في 12 جانفي 1883م، و جريدة الحق التي صدرت في عنابة ، و ظهر العدد الأول لجريدة الحق العنابي بتاريخ 10 جويلية 1893م، و هناك جريدة الحق الوهراني التي صدرت في عام 1902م، و من أبرز الصّحف التي ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى جريدة المغرب عام

1903م و مؤسسها هو بطرس فونتانا(صاحب المطبعة الشهيرة في العاصمة)، وجريدة

المصباح وهي جريدة مزدوجة اللّغة ، تأسست عام 1903م بوهران ، كما صدرت جريدة كوكب إفريقيا (وهي من الصّحف المقربة من دوائر السياسة الاستعمارية، وهذا ما أتاح لها طول العمر)، وصدرت ما بين 1907 – 1914م من قبل الشيخ محمود كحول، وتأسست صحيفة الإسلام عام 1912م للصّادق دندن باللّغتين العربية والفرنسية، و جريدة ذو الفقار بعد سنة واحدة ، واشترك في إنشائها أبو منصور الصنهاجي وعمر راسم، و جريدة الفاروق سنة 1913م على يد عمر بن قدور.....

لقد كان للصحف الجزائرية في تجربتها الأولى في الفترة ما بين 1990 – 1914م دورا كبيرا في تثقيف الجزائريين، وفي انهاء عزلتهم عن الأحداث التي كانت تحيط بهم، وعموما صدرت ما بين 1907 – 1913م خمسة عشر جريدة، ساهمت تلك الصحف في بعث الصّحوة السياسية، و ذلك على الرّغم من جهود الإدارة الاستعمارية في عرقلتها، و التّشويش عليها .

* ظهور جمعيات و نوادي ثقافية : تعد الجمعيات و النوادي من أبرز مظاهر النهضة الجزائرية في العقد الأول من القرن العشرين، إذ شهدت الحواضر الكبرى ميلاد العديد من النوادي والجمعيات الثقافية، وبين سنوات 1890 و 1914م، كان هناك عدد من هذه المراكز التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة، وخلوة الأحاديث، و ملتقى اجتماعي للرياضة، و مقر للنّشاط السّياسي، ومن أبرزها : الجمعية الرشدية، و التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، و جمعية الهلال، و نادي صالح باي، و نادي التّقدم، و نادي الشّباب الجزائري، و نادي الاتحاد ....، و نذكر من هذه الجمعيات و النوادي ما يلي :

أ- الجمعية الرشيدية : تأسّست عام 1894م من قبل شبّان جزائريين من خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية، و كانت تصدر " نشرة " بالعربية والفرنسية، و تعقد سلسلة من المحاضرات الهامة، و تساعد على نشر التعليم والأخوة، و يشير برنامجها إلى أن أهم هدف

لها هو مساعدة الشّباب الجزائري على العمل، و التّفكير، والعيش عيشة حديثة، و كان من بين أعضائها الدكتور ابن التهامي و الدكتور ابن بريهمات .

ب – الجمعية التوفيقية : و قد إنشات هذه الجمعية سنة 1908م، ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911م، و حسب قانونها الأساسي، فإن هدفها كان جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم و تطوير الأفكار العلمية والاجتماعية .

و قد كان رئيس هذه الجمعية هو الدكتور ابن التهامي، الذي كان أحد زعماء النخبة في ذلك الوقت، و نائبه فهو السيد محمد صوالح .

ج - نادي صالح باي : تأسس سنة 1908م في قسنطينة من طرف بعض المثقفين الجزائريين، وتمثلت أهدافه في نشر التعليم و المساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية ، والتوفيق بين المجموعة الفرنسية و الجزائرية، وتنظيم دروس في التّعليم العام و المهني، والدّعوة إلى الأخوة والتّعاون، كما كانت للنادي أهداف، ومنها : إزالة البغض، و معالجة الأمراض الأخلاقية، و محاربة الأنانية والظّلم، و مساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية .

د – نادي الترقي: أسّسه بعض العلماء الإصلاحيين في العاصمة عام 1927م، و قد ركّز على دعم التعليم العربي، و إلقاء المحاضرات، و إحياء المناسبات الدينية والتاريخية، و أعلن فيه عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م .

و كل من نادي صالح باي و الجمعية الرشيدية و الجمعية التوفيقية ساهم مساهمة فعالة في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة، و قد حاول زعماؤها بالتركيز على التّعليم و التقدم، و التّحرر، و أن يطوّروا المجتمع الجزائري، وأن يجعلوا منه مجتمعا حديثا و متنورا بدل مجتمع قديم و تقليدي .

* تطبيق الإدارة الاستعمارية في الجزائر سياسة الزّجر و الإرهاب ضد الأهالي، و بالغت

في قسوتها : مما أدى إلى خلق و تكوين وعي سياسي، دفع النّاس إلى الكفاح و المقاومة السياسية بعد فشل المقاومة العسكرية في استرجاع الحقوق و السّيادة الوطنية، ومن أبرز مظاهر هذه السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر :

- منح المستوطنين الأوربيين حرية إدارة الشّؤون المالية و الاجتماعية و الاقتصادية الخاصة بالجزائر بموجب قانون 19 ديسمبر 1919م، و الذي مكّنهم من التّصرف المطلق في خيرات الجزائر الاقتصادية.

- منع الجزائريين من انتخاب ممثلين عنهم في المجالس العامة كالمجالس البلدية التي تبحث في الشؤون المحلية، أما وظيفة المجلس المالي و مجلس الحكومة الأعلى كانت وظيفته البحث في شؤون الجزائر كلّها، و اقتصر ذلك على العائلات التي تظهر ولائها للإدارة الاستعمارية .

- إرهاق الجزائريين بالضرائب : و التي أثقلت كاهلهم ، فبينما كان الكولون أو المستوطنون يدفعون كمية محدّدة من الضّرائب إلى الميزانية الجزائرية، كان الجزائريون يدفعون أنواعا مختلفة من الضرائب، بعضها بناء على الشريعة الإسلامية " كالزكاة " و العشور، و بعضها بناء على نظام الضرائب الفرنسي، كما كان الجزائريون يدفعون أنواعا أخرى من الضرائب التي فرضها عليهم قانون الأهالي، وكان ذلك يشمل الحراسة الليلية أو دفع كمية من النّقود شهريا مقابل ذلك، كما كان على الجزائريين المقيمين قرب الغابات أن يقوموا بعمل السّخرة في شكل حراسة ضد الحرائق، وهذا نفسه كان في الحقيقة ضريبة إضافية، و يدفعون أيضا بعض النُّقود التي تعرف " بالضرائب الإضافية " حين يقودون قطعانهم عبر الغابات، ويدفعون بعض النقود كمنحة أو ضريبة إلى الجزائريين المعينين من فرنسا وهم الذين لا يعرف تعفنهم حدودا، و اشتدت ظاهرة مصادرة أملاكهم العقارية .

* تطبيق قوانين الأهالي أو الأنديجينا **Les codes de l.indiginat**

فقد أصدر الفرنسيون هذا القانون بعد فشل ثورة 1871م، ثم دعموه، ووسعوا من صلاحياته بعد 1881م، وهو عبارة عن مجموعة قرارات، و إجراءات استثنائية أصدرها الفرنسيون لقهر الشعب الجزائري، و ابقائه تحت سلطته، فقد استعمل الفرنسيون هذا القانون ضد الجزائريين الذين رفضوا الحراسة الليلية أو اجتمعوا بدون رخصة، أو تنقلوا داخل الجزائر من غير إذن، أو تظاهروا، أو تأخروا في دفع الضرائب، أو أهانوا فرنسا. وبناء على هذا القانون، فإن الجزائري إذا ارتكب مخالفة بسيطة ، فإنه قد يغرم خمسة عشر فرنكا، أو يسجن خمسة أيام بأمر من المسؤول الفرنسي، وإذا ارتكب مخالفة كبيرة، فإنه يحال على محاكم خاصة تسمى " المحاكم الرادعة " أو محاكم الجرائم، و للإدارة الفرنسية الحق بأمر من الحاكم العام، أن تحجز، أو تطرد، أو تسجن جزائري.

* اخضاع الجزائريين للمحاكم الزجرية الرادعة التي نشأت عام 1903م خصيصا لمعاقبتهم بالقوانين الزجرية، بعد ثورة عين التركي عام 1901 .

* صدور قرار التّجنيد الإجباري للشّبان الجزائريين في الجيش الفرنسي في 03 فيفري 1912م، و قد رفضه الكثير من الجزائريين، وقرروا مغادرة الجزائر نحو بلدان عربية و إسلامية، فظهرت هجرة شبه جماعية من كثير من المدن الجزائرية إلى المشرق خاصة بلاد الشام، وتركيا، سوريا . و رغم كل هذا، جنّدت فرنسا – حسب مجلة لافريك فرنسيز - و التي نشرت إحصائيات عن الجزائريين الذين شاركوا في الحرب، فكانت كالآتي:الجند(177.000)، العمال (75.000)، القتلى ، (56.000)، الجرحى (82.000) .

* محاولة القضاء على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، و في مقدمتها، اللّغة العربية، و الدّين الإسلامي، بذلت فرنسا كل ما في وسعها لمحو شخصية المجتمع الجزائري، بإحلال

اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة، حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللّسان والثقافة، وينقطع بذلك عن تاريخه، ويفقد مقومات شخصيته الوطنية تدريجيا، ويذوب في بوتقة الأمة الفرنسية، كما سعت للقضاء على الدّين الإسلامي، من خلال محاولة تنصير السّكان، و في هذا الصدد بذل رجال الدين المسيحيين جهودا كبيرة لتنصير السكان مستغلين في ذلك الظروف الصعبة التي شهدتها الجزائر، و المتمثلة في المجاعة في عامي 1868، 1869 ، و ترتبط عملية التنصير بالأسقف " شارل لافيجري " مؤسس جمعية الآباء البيض .

* فشل المقاومة المسلحة التي دامت ما بين (1830 – 1916م) جعل الشعب يبحث عن أساليب جديدة للتحقيق الأهداف، باعتماد الكفاح السياسي.
* صدور قانون 04 فيفري 1919م، وجاءت مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وهي بمثابة " ذر الرماد في العيون"، و الذي يمنح بعض الحقوق السياسية لبعض الجزائريين، ولم يأت بأي تغيير هام و كل ما نصّ عليه هو توسيع القسم الانتخابي الخاص بالأهالي بحيث أصبح عدد المنتخبين حوالي 400.000 بدل 15.000 .
* تزوير الانتخابات البلدية التي جرت في ديسمبر1919م، ونفي الأمير خالد عام 1923م قضت على أي تعاون بين المسلمين و الأوربيين في الجزائر و دفعت بالجزائريين إلى تكوين أحزاب للدفاع عن أنفسهم و عن بلدهم.

* ظهور كتلة المحافظين و جماعة النخبة :

- كتلة المحافظين : تعني " المحافظية " بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الافكار الغربية، و التجنيس، و التجنيد الاجباري في الجيش الفرنسي، وبالتالي رفض القوانين الفرنسية، و الخطط التي قد تدخل تغييرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري . أما على المستوى الثقافي، فإن المحافظية الجزائرية، كانت تعني الإبقاء على النظم الإسلامية، و التعليم العربي، و القيم القديمة، ومن الوجهة السياسية تعني الإذعان إلى إرادة الله حتى تحدث معجزة تخلص الجزائر من الاحتلال الاجنبي . كان أعضاؤها من المثقفين التقليديين أو العلماء و من المحاربين القدماء، و من زعماء الدين وبعض المرابطين والإقطاعيين. وقد كان لهؤلاء

برنامج يقوم أساسا على الحفاظ على المفهوم التقليدي للوطنية ولذلك رفضوا فكرة الإدماج، و التّجنس بالجنسية الفرنسية، و الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي، كما أسلفنا، وتمثلت أهم مطالبهم فيما يلي :

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمستوطنين.
- المساواة في الضرائب و الفوائد من الميزانية .
- المطالبة بتطبيق أفكار الجامعة الإسلامية.
- معارضة التجنيس و التجنيد العسكري الاجباري.
- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية.
- احترام التقاليد والعادات الجزائرية .
- العمل بالقضاء الإسلامي .
- نشر التعليم باللغة العربية.
- عدم استعمال العنف .
- حرية الهجرة، لاسيما نحو الشرق الادنى .

ومن أهم الشخصيات الجزائرية ضمن هذه الكتلة "عبد القادر المجاوي" الذي كان محافظا إصلاحيا حيث قدّم الكثير من القضايا التربوية فقد كان أستاذا في اللغة العربية و الشريعة

الإسلامية في المدرسة الجزائرية – الفرنسية بالعاصمة وقسنطينة لعدة سنوات. و"عبد الحليم بن سماية" الذي كان أستاذا ومعلما وقد ركّز في دعوته على الجامعة الإسلامية. وقد استقبل الشيخ "محمد عبده" عند زيارته للجزائر سنة 1903. وهناك شخصية أخرى كان لها دور بارز في تنشيط جماعة المحافظين وهو " إبن الموهوب " الذي مارس الإفتاء في قسنطينة لفترة طويلة، وقدّم برنامجا تقدميا تحرريا، وحارب الجّهل ودعا إلى استعمال العقل والابتعاد عن الأوهام والخرافات .

- جماعة النخبة: تكونت جماعة النخبة من الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية والعربية. فقد جمعت ثقافتهم بين البعد العربي الإسلامي والحضارة الغربية، ولكنهم تبنوا أفكار الغرب ووسائل عيشه وكل مظاهر الحياة الغربية من الناحية المادية والأدبية وقد عبّر أحد المؤرخين عن هذه الجماعة بقوله أن" أعضائها حاولوا التفريق بين فرنسا الديموقراطية وفرنسا الاستبدادية، فطالبوا من الأولى أن تنقذهم من الثانية " ، وقد تمثل برنامجهم في تلك الفترة في البنود الآتية :

- وضع برنامج خاص لتعليم الجزائريين.
- نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية لترقية المجتمع الجزائري.

- إصلاح المدارس الجزائرية - الفرنسية وتزويدها ببرنامج عصري.

- تسهيل هجرة الجزائريين لفرنسا حتى يتعرفوا على نمط الحضارة الغربية ويتبعونه في حياتهم اليومية والاجتماعية.
- تجنيس المسلمين الجزائيين وفتح كل الأبواب أمامهم.

وهكذا فإن النهضة الجزائرية ولدت في نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 نتيجة تناغم وانسجام مجموعة من العوامل تمثلت في الاتصال المباشر الذي تمّ لبعض الجزائريين مع الثقافة الأوروبية، بالإضافة إلى تسرب أفكار حركة الجامعة الإسلامية والتطورات العالمية التي برزت في شكل تصاعد المد القومي ورغبة الشعوب بما فيها الشعب الجزائري في الاستفادة من كل هذه التحولات.

لقد دخلت الجزائر القرن العشرين برغبة في تغيير أوضاعها، ليس بنفس الوسائل التي أرادها زعماء المقاومة الشعبية المسلحة خلال القرن 19، ولكن بدون أدنى شك لتحقيق نفس الغاية الكبرى ألا وهي إعادة بعث الجزائر دولة ومجتمعا و حضارة.

ب- عوامل خارجية :

* ظهور فكرة الجامعة الإسلامية : و هي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي. أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني و الاجتماعي. و ذلك بتمجيد العقل و العودة إلى مذهب السّلف، و بدأت هذه الحركة في الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصحابها هم : جمال الدين الأفغاني (1838- 1897)، وتابعه محمد عبده (1849- 1905)، ورشيد رضا (1865- 1935) ، و آخرون ، وقد تبني عبد الحميد الثاني (سلطان الدولة العثمانية) حركة الجامعة الإسلامية واستغلها. و كان الهدف الرّئيسي للجامعة الإسلامية هو وحدة المسلمين تحت خلافة قوية، وقد وصلت فكرة الجامعة الاسلامية إلى الجزائر عن طريق الحجّاج والطّلبة في المشرق العربي، وقد كان لزعماء الجامعة الاسلامية سمعة كبيرة في الجزائر، خاصة محمد عبده عندما زار الجزائر عام 1903م، قبل سنتين من وفاته، و تكلم أمام بعض الجزائريين عن

الإصلاح الاسلامي و الجامعة الاسلامية، فاتشرت أفكاره في كامل الجزائر، فقد نشرت جريدة " المغرب" 1903م ، و جريدة " ذو الفقار " (1913- 1914) أراء عبده عن الشؤون الاسلامية .

* هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي و أوربا : إن انعدام الحرية، و سوء الأحوال الاقتصادية، ومراقبة المؤسسات الدينية، ومصادرة الأوقاف، وإدارة الشؤون الدينية من

طرف فرنسا، و التجنيد الإجباري الذي فرض على الجزائريين، بالإضافة إلى دور الجامعة الإسلامية ، فالرّسائل التي كان يبعث بها المهاجرون في القرن التاسع عشر إلى ذويهم في الجزائر، و التي كانت تصف الحرية و الأخوة في الشرق الأدنى، كانت كلّها سببا في هجرة

الجزائريين إلى الخارج بعد مغادرتهم وطنهم، للاستقرار في ديار الغربة .

ولقد هاجرت بعض الأسر الكبيرة مدينة مليانة سنة 1899م، وسطيف سنة 1910م، متجهة إلى سورية ، و في سنة 1911م ،غادر مئات من الجزائريين قسنطينة و سطيف، متجهين إلى سوريا، و في نفس السنة، واصلت الوفود الجزائرية هجرتها نحو سورية، خاصة من المدن التالية : ندرومة، الرّمشي، سبدو، تورين(صبرة حاليا) .

على أن أهم هجرة في الفترة الاستعمارية، فهي الهجرة الجماعية المشهورة لسكان مدينة تلمسان، ففي سنة 1911م، غادرت أكثر من ألف و مائتي عائلة هذه المدينة متجهة إلى سوريا .

لقد كانت للهجرة دور هام في توسيع آفاق النشاط السّياسي بالجزائر في مطلع القرن العشرين إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث تعرف المهاجرون على ما يجري في العالم من حركات سياسية و نضال ضد الاستعمار، كما احتكوا بالهيئات و الأحزاب السياسية، و تعرفوا على النّظم و القوانين و أساليب الحكم .

* إعلان المبادئ الـ14 للرئيس الأمريكي " توماس وودرو ولسون " أثناء انعقاد مؤتمر الصّلح بباريس، و من بين النقاط التي جاء بها الرئيس الأمريكي، إنشاء عصبة الأمم، و

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها .

* إن مشاركة الجزائريين في الدفاع عن فرنسا – بعد فرض قرار التجنيد الاجباري – و المساهمة في صد العدوان الألماني عليها، قد دفع بالجزائريين بالمطالبة بحقهم في الحصول على المساواة في الحقوق و في التصويت والانتخابات .

* انعقاد مؤتمر الصلح بباريس في 18 جانفي 1919م ، سمح للجزائريين بالاتصال بالشخصيات الهامة لعرض قضيتهم و مطالبهم، فكانت فرصة لتقديم الأمير خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر عريضة للرئيس الأمريكي ولسون .

* إنشاء منظمة سياسية دولية وهي عصبة الأمم التي نادى بها الرئيس الأمريكي ولسون في

مبادئه الاربعة عشر، و التي تهدف إلى الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، إلا أنها لم تنجح في تحقيق الأهداف الذي أنشات من أجلها لأسباب كثيرة، فهي عصبة أوربية وليست دولية.

* أحداث العالم الإسلامي كالحرب الليبية الإيطالية ، وكفاح الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل في مصر، ثم ثورة 1919م المصرية ، و اندلاع ثورة الريف في المغرب الأقصى بزعامة الامير عبد الكريم الخطابي عام 1921م .